المحاضرة الأولى في أصول البحث العلمي

يميل الإنسان بطبيعته إلى التساؤل والبحث؛ فهو مخلوق يحبّ الفهم، ويبحث عن الأسباب، ويطرح الأسئلة منذ طفولته إلى آخر حياته. ولذلك بمجرد أن يطالع الطالب عنوان هذه المادة: "أصول البحث العلمي" تتولد في ذهنه مجموعة من الأسئلة الطبيعية، مثل:

ما معنى اصول البحث؟

ما هو البحث العلمي ؟

ولماذا نبحث ؟

وما أهمية البحث العلمي؟

وهل يقتصر البحث على الدراسة الجامعية أم أنه جزء من حياتنا اليومية؟

إن مجرد تسمية المادة تثير هذه التساؤلات، وهذا أمر إيجابي؛ لأن كل بحث يبدأ بسؤال، والسؤال هو الخطوة الأولى في طريق المعرفة. ومن هنا تأتي أهمية هذه المحاضرة التي نحاول فيها أن نجيب عن تلك التساؤلات الأساسية، ونبيّن أن البحث ليس عملًا أكاديميًا فحسب، بل هو أسلوب تفكير وطريقة لفهم الواقع واتخاذ القرارات الصحيحة في حياتنا اليومية.

بعد أن عرضنا الأسئلة التي قد تخطر ببال الطالب عند قراءته عنوان المادة، نصل الآن إلى السؤال الأول والأهم: ماذا نقصد بأصول البحث؟
وللإجابة عن هذا السؤال لا بدّ أن نبدأ من الأساس اللغوي للمصطلح؛ لأن فهم أي مفهوم علمي يقتضي معرفة جذوره اللغوية قبل الانتقال إلى تعريفه الاصطلاحي.

فـ الأصل في اللغة هو القاعدة والأساس الذي يقوم عليه غيره،
والبحث في اللغة :يدل على إثارة الشيء والتفتيش عنه، ويُستعمل بمعنى السؤال وطلب المجهول.

وانطلاقًا من هذين المعنيين يمكن القول إن أصول البحث هي:

" القواعد المنظمة التي يعتمد عليها الباحث في دراسة موضوعه، من خلال استخدام وسائل علمية وأدوات منهجية للوصول إلى معرفة جديدة أو حلّ مشكلة قائمة".

وبهذا يتبين أن أصول البحث ليست مجرد خطوات شكلية، بل هي منظومة منهجية تحكم عملية البحث من بدايتها إلى نهايتها.
إذا نستنتج ومن خلال هذا التعريف أن أصول البحث تمثل الإطار المنهجي الذي يجب على الباحث الالتزام به عند إجراء أي بحث علمي. وهذا الإطار يكشف لنا ثلاثة عناصر أساسية يقوم عليها العمل البحثي السليم:

١ .استخدام وسائل علمية منظَّمة
فالبحث لا يقوم على العشوائية، بل يعتمد على أدوات وأفكار ومصادر ينبغي استخدامها وفق نظام واضح.
٢ .اتباع منهج محدّد
إذ لا بدّ للباحث من السير وفق منهج علمي يساعده على تحليل المشكلة والوصول إلى نتائج صحيحة وموثوقة.
٣ .وجود هدف يدعو للبحث
فالعمل البحثي ينبغي أن ينطلق من غاية واضحة، كحلّ مشكلة، أو اكتشاف معرفة جديدة، أو إبراز قضية تحتاج إلى دراسة.

ننتقل الان الى بيان مفهوم البحث العلمي
البحث العلمي يعني هدٌ منظّم يبذله الباحث من أجل الوصول إلى معرفة جديدة، أو حلّ مشكلة، أو تفسير ظاهرة، وذلك باستخدام خطوات منهجية دقيقة تعتمد على جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى نتائج موثوقة.
ومن أهم ما يتميز به البحث العلمي أنه:
يقوم على الدقة والتحري.
يعتمد على خطوات منهجية واضحة.
يهدف إلى حلّ مشكلة أو كشف معرفة جديدة.
يستند إلى أدلة وبراهين.

الفرق بين أصول البحث والبحث العلمي

وبعد أن عرفنا المفهومين، نستطيع أن نميّز بينهما بسهولة:
١ .أصول البحث
هي القواعد والأسس النظرية التي تنظّم عملية البحث وتحدد خطواته الصحيحة.
فهي تُعلّم الطالب: كيف يختار الموضوع؟ كيف يصوغ المشكلة؟ كيف يجمع المعلومات؟ كيف يوثّق؟ كيف يعرض النتائج؟
٢ .البحث العلمي
هو التطبيق العملي لهذه الأصول والقواعد في موضوع محدد، مثل:
–بحث تخرّج ، دراسة أكاديمية، تقرير بحثي.

بعد ان عرفنا معنى اصول البحث والفرق بينها وبين البحث العلمي نجيب على السؤال التالي :
لماذا نبحث ؟

الإنسان بطبيعته كائنٌ مفكّر، يحبّ أن يسأل ويستفسر ويكشف ما يخفى عليه، ولذلك جاءت الحاجة إلى البحث لتلبية هذه النزعة المعرفية الواعية. فالطالب، والباحث، والعالِم—كلهم يلجأون إلى البحث رغبةً في الوصول إلى معرفة جديدة أو حلّ إشكال قائم.

ويمكن تلخيص أهداف الباحث في خمسة أمور رئيسية:

١ .معرفة شيء جديد لم يسبق اكتشافه
فالبحث يسعى دائمًا إلى إضافة معرفة جديدة، أو فتح باب لم يُطرق من قبل.
٢ .تتميم شيء ناقص
قد تكون هناك مسألة طُرحت من قبل، لكنها لم تكتمل أو لم تُدرس بعمق كافٍ، فيأتي الباحث ليتمّ نقصها.
اختصار شيء طويل .
٣.أحيانًا يكون هناك موضوع واسع أو مادة ضخمة، فيقوم الباحث بجمعها واختصارها وتقديمها بشكل واضح ومفيد.
٤ .توضيح شيء غامض
قد توجد مفاهيم أو مسائل التبس فهمها على الناس، ويأتي البحث ليزيل الغموض ويكشف الحقيقة.
٥ .إبراز مظاهر جمالية
خصوصًا في الدراسات الأدبية والبلاغية والفنية، حيث يهدف الباحث إلى إبراز جماليات النص أو الظاهرة.
إذًا نبحث لان لدينا حاجة معرفية ،ورغبة في الفهم ،وحرصًا على حل مشكلات واقعية أو علمية ؛لأن البحث هو الطريق لاكتشاف الجديد وإغناء المعرفة .

الآن ننتقل للإجابة عن آخر سؤال طرحناه في بداية المحاضرة: ما أهمية البحث؟

تتجلّى أهمية البحث العلمي في خدمته للمجتمع من جهة، وفي تنميته لقدرات الباحث من جهة أخرى.
ويمكن إجمال هذه الأهمية في النقاط التالية:

أولًا: أهمية البحث العلمي للمجتمع

- يساعد البحث العلمي على تقدّم المجتمع لأنه يقدّم حلولًا علمية للمشكلات في مختلف مجالات الحياة.
-يسهم في اكتشاف حقائق جديدة عن الكون والطبيعة، مما يزيد من علم الإنسان وقدرته على فهم العالم من حوله.
-يدعم النمو الاقتصادي والمعرفي من خلال الدراسات الدقيقة التي تبني مشاريع التنمية وتقدّم مقترحات عملية.
-يرفع مستوى الخدمات والصحة والتعليم والتقنية بفضل ما ينتجه من حلول وابتكارات.
-يسهم في تحقيق الرفاهية والتقدم نتيجة التطور الصناعي والتكنولوجي المبني على البحث العلمي.

ثانيًا: أهمية البحث العلمي للباحث نفسه

-ينمّي لدى الباحث قدرة النقد والتحليل والتفكير المنهجي.
-يزيد من معرفته وثقافته حول الموضوع الذي يدرسه، ويجعله قادرًا على التميّز فيه.
-يعزز مهارة التوثيق والتحقق من صحة المعلومات.
-يرفع من مكانة الباحث في المجتمع، لأنه يقدم معرفة موثوقة.
-يكسبه خبرة في استخراج المعلومات من المصادر وتنظيمها، ويقوّي قدرته على الإنجاز والصبر والانضباط.